مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

- الفصحى أم العامية؟
- معيقات الإصلاح التربوي
- الكفايات والتربية على القيم
- المقاربة بالكفايات وتمثلات المتعلم
- منظومة القيم في مقررات التعليم الثانوي
- عودة إلى تعريف الديداكتيك أو علم التدريس

العدد السابع والأربعون - مارس 2011

ندوة حول :

الكتاب المدرسي في الدراسات الاجتماعية

مولاي المصطفى البرجاوي

في إطار انفتاح كلية علوم التربية على فعاليات وأطر تعليمية وتربوية في مناطق متعددة في المغرب وسعيا منها لتطوير الحقل التربوي ، نظمت ،يومه الجمعة 26 مارس2010، مجموعة البحث حول التربية والتواصل في مجال السكان والبيئة والتنمية GRECPED، التي يرأسها الدكتور محمد فتوحي - منسق وحدة الماستر»ديداكتيك المواد الاجتماعية والتواصل» بنفس الكلية- ندوة علمية بعنوان:»الكتاب المدرسي في الدراسات الاجتماعية»، حضرها أساتذة جامعيين ؛ هم في غالبيتهم لهم اهتمامات كبيرة في مجال ديداكتيك وعلوم التربية : على رأسهم الدكتور مصطفى حسني إدريسي،صاحب أطروحة «التفكير التاريخي والتعلم التاريخي «الذي يعد مرجعا أساسيا في تدريس التاريخ في المرحلة الثانوية التأهيلية، والدكتور لحسن لحيداوي، صاحب أطروحة «المقاربة الوظيفية لديداكتيك الجغرافيا»،والدكتور جمال الدين،صاحب أطروحة «البيئة الحضرية والتواصل المجتمعي»... كما حضرها أيضا ثلة من المفتشين- وهم في غالبيتهم ممن ساهم في تأليف الكتب المدرسية الجديدة- والأساتذة وطلبة ماستر والدكتوراه.. وأساتذة من المملكة العربية السعودية

وقد افتتح هذه الندوة الدكتور محمد فتوحي-مسير الندوة- الكلمة بالترحيب

بالسادة المفتشين والأساتذة والطلبة ، ثم أخذ يستعرض أهمية اختيار هذا اليوم الدراسي لتناول أهم قضية تؤرق المدرس والمتعلم في المواد الاجتماعية، ويتعلق الأمر بتأليف الكتاب المدرسي الجديد،الذي عرف إخراجا ومضمونا جديدا -باعتباره دعامة ديداكتيكية ومصدرا للمعرفة- بناء على التطور الذي شهده حقل التربية والتكوين في المغرب، والثورة المعرفية والتكنولوجية والابستمولوجية التي يعرفها العالم.

من هذا المنطلق طرح مجموعة من الأسئلة التي تؤطر هذا اللقاء التواصلي : ما أهمية الكتاب المدرسي على مستوى التأليف، على مستوى الممارسة الصفية، والخصائص الواجب توفرها في الكتاب المدرسي ودور دفتر التحملات في تأطيره؟ وكيف نساهم في تقويم الكتاب المدرسي؟

ثم أعطى الدكتور محمد فتوحي الكلمة لعميد كلية علوم التربية؛ تناول فيها الخطوط العريضة لمستقبل الكلية باعتبارها قطبا منفتحا على جميع الفعاليات التربوية، وتتهيأ لإنشاء قطب للدراسات الاجتماعية، تجمع بين البحث النظري والتطبيقي، بعد ذلك انتقل إلى موضوع الندوة، فطرح الأسئلة التالية: من كان وراء هذا الكتاب المدرسي؟ وماهي الأهداف المتوخاة منه؟ وماهي الكفايات التي تم اعتمادها وما مرجعيتها؟

وأنهى كلمته بمقترح لتنظيم ندوة حول كتاب مدرسي يكون مرجعا أساسيا للتعليم والتعلم، بحكم أن الجامعة الآن منفتحة على جميع المؤهلات (خبراء، قطاع التربية والتكوين، الطاقات البشرية والعلمية من طالبات وطلبة...الهدف بناء شخصية مغربية منفتحة على القيم الإسلامية والكونية والتكنولوجية..

وبعد ذلك توزعت المداخلات على الشكل التالي:

المداخلة الأولى للدكتور مصطفى حسني إدريسي،كان عرضه حول «دراسة الكتب المدرسية في البحر الأبيض المتوسط»، وكان الهدف من هذه المداخلة؛ إبراز الجديد الذي أتى به الكتاب المدرسي على مستوى التعلمات، ثم مقاربة المعرفة التاريخية للبحر الأبيض المتوسط.

بالنسبة للقسم الأول المتعلق بالتعلمات الديداكتيكية، لاحظ الدكتور مصطفى أن الإصلاح الأخير لسنة 2002، جاء في وقت تزامن مع بعض التقدم في البحث الديداكتيكي، ويظهر ذلك جليا من خلال المقارنة بين الكتب المدرسية الحالية بالسابقة(حسب كريستيان لافيل Chri-tian laville هذه الأخيرة ترتكز على ما يكتبه المؤلفون):

الجيل الجديد من الكتب المدرسية، الاشتغال على الوثائق، وذلك سعيا لجعل التلميذ يبني المعرفة بنفسه، لكن لم يهيأ لذلك على مستوى التكوين المستمر وذلك لجعل المدرس في وضعية تعليمية-تعلمية جديدة.

الكتاب المدرسي في رحاب التاريخ للسنة الأولى بكالوريا ، هناك فقط مايسمى بالمعرفة التاريخية، في حين آليات التفكير التاريخية تظل محتشمة

بالنسبة للقسم الثاني استعرض قضايا متعددة :

بالنسبة للمحتويات : تم اعتماد سلم البحر الأبيض المتوسط، رغم أنها لا تدرس مفصلة كأن تدرس مثلا كل منطقة متوسطية لوحدها،بل مقاربة شمولية تعالج البحر المتوسط في كليته..

قضايا الزمن: الكتاب يهتم فقط بمسألة التحقيب لأن الفترة التي تدرس التاريخ الحديث- وإن كانت غير مذكورة في التاريخ- لكن على العموم هناك تجديد على مستوى المقارنة بين الضفتين الإسلامية والأوربية..

قضايا المجال: هي مسألة جديدة، لم تظهر في المنهاج لكن تم تدارك الأمر من خلال إدراجها في الكتب المدرسية...

ومقاربة المجال المتوسطي مقاربة جديدة جعلتنا-على حد تعبير الأستاذ حسني- ننسلخ عن المقاربة الوطنية الضيقة وننفتح على عوالم أخرى وننمدج فيها لكن مع التركيز على الهوية الوطنية والدينية للمغرب من خلال الاشتغال على دروس المغرب في شكل ملفات.

وخلص في الأخير إلى أن ما يلاحظ في كتاب «رحاب التاريخ» حسب الإشكالية: لماذا حصل التفاوت بين الضفة الشمالية والجنوبية؟ مسألة تساؤل عن تراجع العالم الإسلامي كانت حاضرة في الكتب المدرسية القديمة لكن أن يصبح سؤالا مركزيا يشكل منطلقا جديدا نحو أفق أرحب، وتساعدنا على فهم الآخر (الأوربي) وكيف أن التعلمات والتمرين على التفكير التاريخي يساهم على فهم الذات والآخر.

المداخلة الثانية بعنوان»المقاربة الجديدة لتأليف وإنتاج الكتاب المدرسي في مادتي التاريخ والجغرافيا» ألقاها الأستاذ عبد المولى بلفقيه، مفتش التعليم الثانوي نيابة إقليم الجديدة – الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بجهة دكالة –عبدة ، ومن أهداف هذا العرض التعريف بالأسس والمرجعيات النظرية لتأليف الكتاب المدرسي الجديد ؛الاطلاع على خصوصيات

ومواصفات الكتاب المدرسي الجديد ؛ خلق جسور التواصل بين الفاعلين التربويين و فتح نقاش حول الكتاب المدرسي الجديد من خلال الملاحظات الأولية المسجلة حوله.

ركز الأستاذ عبد المولى في عرضه على محورين :

أ- الأول تمحور حول: مرتكزات تأليف وإنتاج الكتاب المدرسي؛ سواء على مستوى السياق العام (المعرفي والتربوي ؛

السوسيو-ثقافي، السوسيو-اقتصادي ؛ التنظيمي) والمرجعيات(الميثاق الوطني للتربية والتكوين (المجال 3 : الرفع من جودة التربية والتكوين – الدعامة 7مراجعة البرامج والمناهج والكتب المدرسية والوسائط التعليمية)و دفتر التحملات(دفتر التحملات الإطار(يحدد الاختيارات التربوية والبيداغوجية والتقنية والفنية والتنظيمية والمسطرية لتأليف الكتب المدرسية وطبعها وتوزيعها دفتر التحملات الخاصة (يدقق الجوانب التربوية والبيداغوجية والتقنية والفنية حسب خصوصيات المادة والمستوى الدراسي المستهدف) دفتر التحملات الخاص بمواصفات كتاب التلميذ .. ومجالات الوثيقة الإطار للاختيارات والتوجهات التربوية العامة ؛ في مجال القيم (الهوية الإسلامية والحضارية...) وفي مجال التنمية وتطوير الكفايات وفي مجال المضامين وفي مجال تنظيم الدراسة وتحديد مواصفات المتعلمين : (في الابتدائي – في الإعدادي – في التأهيلي).

ب- الشق الثاني تناول هيكلة / بناء الكتاب المدرسي وفق المقاربة الجديدة، من حيث مكوناته من البداية إلى النهاية وكيفية استعمال الكتاب انطلاقا من توجيهات..

في الأخير ركز على الأهمية الديداكتيكية للكتاب المدرسي الجديد :

* بالنسبة للمدرس (الإعداد القبلي للدروس - الإنجاز الفصلي) .

* بالنسبة للمتعلم (التهييء القبلي – إنجاز الأنشطة اللاصفية تنمية التعلم الذاتي وتنمية كفايات منهجية).

انعكاس مبدإ تعددية الكتاب المدرسي وعملية التحرير التدريجي للتأليف المدرسي على الإبداع التربوي سواء بالنسبة للمؤلفين أو الناشرين.

المداخلة الثالثة: ملاحظات وأفكار تجربة في تأليف الكتاب المدرسي (كتاب التاريخ والجغرافيا نموذجا)من إنجاز الأستاذ محمد صهود ؛ مفتش التعليم الثانوي ، نيابة إقليم سيدي سليمان، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بجهة الشاوية ورديغة ويمكن تصنيف

أفكار هذا العرض إلى صنفين الأول يتعلق بإيجابيات التجربة على المستوى الذاتي وعلى المستوى الموضوعي، والثاني يرتبط بالصعوبات والمشاكل التي اعترضت فريق التأليف وهي أيضا صعوبات تحمل في طياتها ما هو ذاتي وما هو موضوعي.

بالنسبة لإيجابيات التجربة:- تناولها على مستوى المنظومة التربوية:

الانتقال من الكتاب الوحيد إلى التعددية وهذا التوجه -على حد تعبير الأستاذ صهود- ينم عن دمقرطة في التأليف والتقويم.

الانتقال من كتاب يتوفر على متون ، إلى كتاب يتضمن وحدات ودروسا هي عبارة عن أنشطة تعلمية وتقويمية تنطلق من وثائق ودعامات تهدف بناء التعلمات وتقويمها أكثر من التعلمات في حد ذاتها.

إرفاق كتاب التلميذ بدليل للأستاذ في المرحلة الإعدادية ،يشرح الخلفية النظرية والمنهجية والبيداغوجية للوحدات الدراسية والأنشطة التعلمية؛

صدور الكتب المدرسية الجديدة وفق المقاربة البيداغوجية بالكفايات..

- على مستوى فريق التأليف:توصل إلى أن:

هذا التأليف المدرسي مناسبة للتدقيق في كثير من المفاهيم والمعطيات المعرفية واللغوية وغيرها

وأثناء التأليف كان يتم استحضار مجموعة من المتغيرات مثل المستوى العقلي والمعرفي للتلاميذ في عملية التأليف، وأنه كان يستحضر مختلف التشريعات القانونية الوطنية أو الدولية التي دخلت حيز التنفيذ، والمرتبطة بحقوق الإنسان والمرأة والطفل والتصالح مع الماضي ... وما إلى ذلك بهدف مواكبة التأليف للتحولات المجمعية التي يعرفها المغرب.

وكل هذا يجعل من التأليف المدرسي ميدانا ذا خصوصية تميزه عن التأليف بشكل عام.

أما الصعوبات: نظر صهود تتمثل في :

-صعوبات مؤسسية وتنظيمية:ضيق المدة الزمنية،طبيعة دفتر التحملات صعوبة التأليف في المستويات التعليمية الدنيا وأهمية بل ضرورة التكوين قبل كل تغيير بيداغوجي:

- صعوبات بيداغوجية:الصعوبة العملية لأجرأة الكفايات،الاختلافات التي يطرحها تأويل بعض مفردات المنهاج،انعدام كتاب أو دليل للأستاذ في التأهيلي،

- صعوبات تقنية وتفاعلية...

المداخلة الرابعة:مواصفات الكتاب المدرسي بالمملكة العربية السعودية (كتاب التاريخ نموذجا)، قدمها الأستاذ التويني الثنيان، تناول فيها المواصفات العامة من خلال الالتزام بما جاء في وثيقة سياسة التعليم بالمملكة العربية السعودية والتقيد بالاهداف العامة والخاصة حسب ما ورد وثيقة منهج العلوم الاجتماعية وفي المحور الثاني عالج المواصفات الخاصة من خلال اختيار ما يحقق أهداف المنهج...

المداخلة الخامسة والأخيرة: قدمها الدكتور محمد فتوحي وهي بعنوان:»تقويم الكتاب المدرسي» تناول فيها القضايا الجوهرية التالية:

- أهمية تقويم الكتاب المدرسي.
- هل يمكن الكلام عن أزمة الكتاب المدرسي.
- من يقوم الكتاب المدرسي.
- جوانب تقويم الكتاب المدرسي.
- أدوات تقويم الكتاب المدرسي.

وركز على الكتاب المدرسي كمعين أو دعامة ديداكتيكية رغم بروز وسائل تربوية منافسة : الوسائل متعددة الوسائط / التصوير. وذلك بالانتقال بالكتاب من وسيلة لنقل المعلومات وخزان للتمارين وأداة لنقل القيم الاجتماعية والثقافية للمجتمع إلى وسيلة تربوية تسعى إلى:

1 - تطوير مهارات العمل المستقل عند المتعلم
2 - اقتراح طرق جديدة للتعلم
3 - إدماج المعارف المكتسبة في وضعيات مشابهة لواقع المتعلم

كما تطرق إلى إشكالية كبرى :هل يمكن الكلام عن أزمة الكتاب المدرسي ؟ في ظل متغيرات متعددة منها:

- تراجع القراءة
- التداخل بين البعد التربوي والبعد التجاري
- جاذبية الكتاب للمستعمل
- الكتاب والممارسة الفصلية : حجم اللجوء للكتاب المدرسي من قبل المستعمل : مدرس أم متعلم سواء أثناء الفصل أو خارجه؟
- محدودية ثقافة التقويم خارج السياق الملزم.

كما طرح إشكالية أخرى : من له الحق في تقويم الكتاب المدرسي؟ كما حدد أنماط تقويم مسلسل إنتاج الكتاب المدرسي

وخلص إلى معايير التقويم للكتاب المدرسي وصنفها إلى نوعين:

الأولى مشتركة وعامة: الملاءمة مع المنهاج التعليمي المقرر ،الجودة البيداغوجية،الدقة العلمية في التخصص المعني (المادة والمنهجية)،تنويع وسائل التعبير، تنويع مقاربات التعلم (البحث والتقصي، أغناء الرصيد المعرفي، إدماج التعلم السابق والتقويم المصاحب)،الارتباط بالسياق الاجتماعي والثقافي لبيئة المتعلم..

الثانية معايير خاصة: احترام دفتر التحملات أو وثيقة المواصفات،كلفة اقتناء الكتاب،الجوانب الفنية والجاذبية،الحجم والوزن،الغلاف..

بين مداخلة وأخرى قدم الأستاذ فتوحي-مسير الندوة- جملة من الملاحظات والأسئلة التي يمكن أن تكون منطلقا للبحث والتفكير التربوي من قبيل :

كيف يمكن للكتاب المدرسي أن يشيع ثقافة التسامح والانفتاح على الآخر الأوربي.

إشكالية استخدام الكتاب المدرسي من طرف المدرس لجعله ذو فعالية...

هل الكتاب المدرسي يتيح إمكانية توظيف الكفايات أم دار لقمان لازالت على حالها من خلال الاقتصار على الطريقة البيداغوجية القيمة المبنية على الأهداف بحكم أن الأساتذة لم يتلقوا تكوينا يؤهلهم لذلك؟

واختتمت الندوة العلمية التي أجمع كل المتدخلين على نجاحها ، إذ وضعت الأصبع على الجرح والثغرات التي اعترت الكتب المدرسية سواء على مستوى المنهاج أو على مستوى الكتب المدرسية أو على مستوى المتدخلين التربويين(شبكة التقويم التي وقفت حجر عثرة دون إخراج كتب مدرسية أخرى..) وغير التربويين(دار النشر)..

مرحلة المناقشة والتوصيات: تمت الإشارة من قبل المتدخلين إلى صعوبة توظيف بعض الوثائق في الكتب المدرسية الجديدة، ورد بعض المفتشين من لجن التأليف إلى صعوبات التأليف من ضيق الوقت .. ، كما أن الكتب المدرسية الجديدة نزلت إلى السوق دون أن تعرض للتجريب ، أضف إلى ذلك تدخل دور النشر وشبكة التقويم التي كانت إما حائلا دون نشر بعض الكتب المدرسية أو عجلت في نشر أخرى دون تمحيص دقيق ...

من التوصيات التي خرجت بها ندوة ، هناك إرادة قوية من قبل أساتذة كلية علوم التربية لتكوين الأساتذة وتأطيرهم ولكن في إطار شراكات مع قطاع التربية الوطنية ، كما أن هذه الندوة ستكون منطلقا لندوات أخرى موسعة في نفس الإطار .